خواطر أدبية وحكم عصرية

صالح زيادنة

٢٠٢٢

صالح زيادنة

خواطر أدبية

وحكم عصرية

منشورات صالح زيادنة (٢٠٢٢م).

خواطر أدبية وحكم عصرية

صالح زيادنة

الطبعة الأولى

تشرين أول ٢٠٢٢م

مقدمة

هذه خواطرُ أدبية كتبتُها في فتراتٍ مختلفة، وسكبتُ فيها من عُصارة النفس، ومن لواعجِ القلب وأنينِ الروح الشيءَ الكثير.

في كلّ حرفٍ من حروفها زفرةٌ مكبوتة، وألمٌ دفين، وحزنٌ وكآبة، ودموعٌ سخينة، جاءت لتعبّرَ عن حالةٍ نفسيةٍ مررتُ بها، أو حزنٍ حرصتُ أن يبقى مكبوتاً، أو وضعِ ناءتِ النفسُ تحتَ وطأته، فجاءتِ الحروفُ لتبوحَ بما كتمتُ وتُفشي ما أسررتُ، وفاضت على الورقِ قطعةً من لواعج الروحِ وتأوّهاتِ الفؤاد.

ليستِ الخاطرةُ قصةً تَهدفُ إلى اجتذابِ القاريء، أو استمالةِ عطفِه وإثارةِ اهتمامِه، ولكنَّها زفراتٌ ودموع يُحِسّ بها الكاتب ويَعيشُ ظروفَها، فتخطّها يراعَتُه كلماتٍ على الورق.

فمَن عاشَ ظروفَها، ومَنْ مرَّ بحالةٍ تُشبهُ حالةَ الكاتبِ حينَ كتبَها، فسوفَ يَشعرُ بكلِّ كلمةٍ فيها، وتهزُّ في نفسِهِ مكامِنَ الألمِ، وتُحرّكُ

فيه مواجعَ الروحِ وأشجانَ الفُؤاد .

وفي هذا الكتابِ الصغير، وفي هذهِ الصفحاتِ القليلة، سكبتُ شيئاً من عُصارةِ روحي، ومن أحاسيسِ نفسي، فجاءتِ الكلماتُ صادقةً، والعباراتُ واضحةً جلية .

هذه كلماتي، وهذه خلجاتُ فؤادي، وهذهِ أعاصيرُ روحي، أُقَدِّمُها لكلِّ مَنْ يُحِبُّ الأدبَ الصَّادِقَ، ولكلِّ مَنْ يُحِسُّ بنبضِ الكلماتِ، فلعلَّ كلماتي تُطابِقُ روحَكَ وتكون لك .

صالح زيادنة

السبت، ٠٨ تشرين الأول، ٢٠٢٢م – ١٣ ربيع الأول، ١٤٤٤هـ.

أيتها الحروفُ الجميلة

أيتها الحروفُ الجميلة، أيتها الكلماتُ الرقيقةُ المُعبّرة، كلّما طالت العِشْرَةُ بيننا، كلّما كانَ الشوقُ إليكِ أكبر، وكانَ الحنينُ إليكِ أشدّ وأعظم.

في حلكةِ الليل، وهَدأةِ الضجيجِ والصَّخَب، نبدأُ المسامرة، تُصغينَ إلى أنينِ قلبي وخلجاتِ فؤادي، وشُرودِ عواطفي وهفهفاتِ رُوحي التائهة.

تُفْضِي إليكِ الروحُ بما تُحِسُّه وما تُعانيه، وما يدور في النفسِ وما ينسابُ في أخاديدِ المشاعر.

في هَدْأَةٍ وصمتٍ يخفت الصوتُ وتتناجى الأحاسيسُ بكلماتٍ أثيريةٍ لا صوت لها، تُرفرفُ بهدوءٍ في فضاءاتٍ حالمةٍ وسديمٍ هادئٍ مسحور.

سنوات طويلةٌ من العُمرِ تَمُرُّ في الذاكرة بسرعةٍ روحيةٍ لا تعرفُ

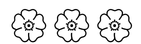
حُدُودَ الزَّمن، تَقفز فيها الروحُ من غصنٍ لغصن، وتُرفرفُ فوقَها فَرَاشَاتُ النفْسِ من زهرةٍ لزهرة.

في هَدْأَةِ الليل، وبين نُعومةِ الحروفِ ورِقَّةِ المعاني يَضُوعُ عبيرُ النفسِ بآهاتٍ حبيسةٍ وزفراتٍ مكبوتةٍ تنطلق من عقالها لتُعَبّرَ عن شُعورِها وتَسكب قواريرَ أحاسِيسِهَا.

أَيتها الحروفُ الجميلة، يا موطنَ الروحِ وموئلَ النفسِ ومسرحَ العواطف، أَعودُ إليكِ مُثقلاً بهموم الحياة ومشقَّة العيش، وَأُلقِي لديكِ حقيبةَ السَّفَر.

أيتها الحروفُ الجميلة، أعودُ إليكِ وحيداً، وأظلُّ وحيداً، أظلُّ وحيداً.

○ السبت، ٢٤ كانون الأول، ٢٠١٦.



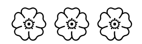
بين أنيابِ الأسَى

من بين أنيابِ الأسَى اسْتَلُّ أحزاني، أُحاولُ فَتْقَ حشرجةٍ تقفُ حائرةً في أعلى حَلْقي، أعتصرُ دموعاً سخينةً أشْتَمُّ فيها عذاباتِ رُوحي، تتوتَّرُ ألفاظُ الكآبَةِ على لساني، وترتبك عباراتُ البؤسِ على شفاهي اليابسة.

أوَّاه، لم أجدْ في بحرِ الكلماتِ ما يُعَبِّرُ عن عُمقِ أحزاني، تنافرت حروفُ ألفاظي وتجعَّدتْ صُحُفُ أيّامي، نظرتُ في الأفق لعلني أرى بصيصاً من نورِ الأمل ينير شيئاً من فؤادي، ولكنني لم أرَ إلاَّ سواد بؤسي وحَلكة أحزاني.

أوَّاهُ.. أوَّاه..

○ ٢٦/١٢/٢٠١٤م.



في لُجّة الضياع

مـن وراء جبـالِ الأحـزانِ أعـودُ مثـقلاً بتضـاريسِ اليـأسِ والهمـوم، أقضمُ فُتاتَ الحزنِ واحتسي بقايا كأسِ الضجر، وأنـفثُ زفرةً تكاد تشقّ الفؤاد .

أوّاهُ يا قلبـي الحزين، أوّاهُ يا نفسي المثـقلة بالأسـى، أوّاه لو أعـودُ طفـلاً صـغيراً يلعـبُ في ذرّاتِ الرمـال، ويعـجنُ الطيـنَ ويلعـبُ في الوحل .

مَنْ ينتشل نفسي من لُجّة الضياع، ويُعيد لروحي شعلة الحنيـن والأمل .

تلعثمـتِ الكلمـاتُ في حلقـي، وارتطمت بنشـيجٍ مبـحوحٍ أصـفر، وخرجت كزفراتٍ باكيةٍ وأنينٍ مجروح.

كيف أكتبُ وحبري دموعٌ، وأوراقي صفحاتُ خدٍّ مكلومٍ، ملأى بالأخاديدِ والندوب .

قلمي، يراعتي، ريشتي هي زفرةٌ متجمدة أشُـقّ بها جدارَ الحزن، وأُمزّقِ بها رداءَ الكبتِ والصمت.

ربّاهُ .. ربّاه ..

مـن ينتشلنـي مـن لـُجّةِ الضـياع، ويُـعيد لروحـي شـعلة الحنيـن والأمل.

- الاثنين، ٠٣ تشرين الثاني، ٢٠١٤.



أنتَ يا فؤادي الحزين

فُؤادي. . . يا فُؤادي الحزيـن، أنتَ الصـديقُ الـذي أدعـوه وقـتَ الشدَّة، وأرجـوه حيـن الضيق، أنتَ. . . يا فؤادي الـمحزون، أنتَ الرفيـقُ الذي أبثُّ إليـه أشـجاني، وأبوحُ لـه بمكـنونات نفسـي، أنتَ الصديقُ الذي لم أجد إِلاَّهُ في هذا العالم، هذا العالم الـمليء بالدموع والأحزان.

ها هي الأيامُ تُحيطني بسورٍ من الهموم، وها أنا أجدُ نفسي وحيداً في هذا العالم، وها أنا ألتفتُ إلى جـميع الـجهات فلا أرى لي خليلاً أبثُّ إليه أنغامَ روحي الـهائمة في أثير الـهموم، ولا حبيباً أُلْقي برأسـي على صـدرِه الحنون، وأذرفُ دموعَ أشـواقي وأشـجاني، إلا أنتَ يا فؤادي المحزون.

ها هي المحنةُ تسير في عروقي كشظايا من زجاج، وها هو الغم يُمسك بأنفاسي الملتهبة فلا تستطيع خروجا .

ها هي الدنيا تضيق أمام ناظريَّ فأراها كحبة سمسم، وها هو اليأسُ يستحوذُ على مشاعري وإحساسي، فأشعرُ بجبال من الحزن تجثم على صدري، وأشعر بدمائي كأنها حبالٌ من النار تلهبُ كلَّ عِرْقٍ في جسدي.

وها أنا أقفُ وحيداً حائراً على مفترقِ الطريق، فلا أجدُ لي من ناصرٍ أو مُعين إلا أنتَ يا فؤادي الحزين.

○ الجمعة ٠٨/ ٠١/١٩٩٣م.



شعوري الغريب

شعورٌ غريبٌ يلازمني، وإحساسٌ مُبْهَمٌ غير مفهومٍ يستكنّ بين جوانحي، يجعلني أشعر بالغربة والوحدة، وأشعر بأنني أختلفُ عن الآخرين، أو أنني نوعٌ غريبٌ من البشر.

فأتعذّب وأنا أشعر بهذا الشعور، وأتألّم وأنا أُحِسّ بالغربة والوحدة والضياع، فما الوحدة إلاّ نوع من الانغماس في اللاشيء، والانزواء في أركان المبهَمِ والمجهول.

وأُلومُ نفسي وأنعتُها بصفاتٍ تؤلمُها، وأَصفُها بأنها متخلفةٌ وغير طبيعية، فما هذه الانطوائية إلا ضَرْب من الشذوذ، والهروب من الواقع وعدم المشاركة الفعلية في الحياة.

وكلما أصفع قلبي مؤنباً، يحتدّ وينتابه حزنٌ شديد، إلا أنه يتمالك

نفْسَه ويبلع سُخطَه ويُمسك بيدي ويقودني إلى نافذةٍ صغيرة تُطلّ على العالم الخارجيّ، ويقول لي: ها هم الناس انظر إليهم.

وأنظر من خلال الكُوّة الصغيرة فأرى الناسَ على حقيقتهم، ينتشرون في كلِ مكان، بعضهم يتسلّل في الظلام وبعضهم يسير في وضح النهار، بعضهم قويّ شرس كالنمر يثور ويزمجر لأتفه الأسباب، وينقضّ ليفترس دون رحمة، وبعضهم كالثعبان يلدغ وينساب بين الأعشاب دون أن يراه أو يحسّ به أحد.

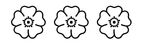
إنهم يشبهون تماماً تلك الوحوش التي تعيش في الغابة، كلّ فريق منهم يسير في اتجاه، ولكن قاعدة واحدة تنطبق عليهم جميعاً ودون استثناء، وهي أنّ الكبير منهم يفترس من هو أصغر منه.

نظرتُ طويلاً وطويلاً، ورأيتُ ما كنتُ أتصوّر، وما لم يخطر على

بالي أبداً، رأيتُ ما كنتُ أُحِبّ وما كنتُ أَكره، لكنني كنتُ هادئاً ممسكاً أعصابي، فقد عاهدتُ نفسي منذ زمن طويل ألاّ أتدخّل في شؤون الآخرين، وأن أبقى مُخلصاً لله ولنفسي ليس أكثر.

وعندما مللتُ من النَّظَر وتعبتُ من المشاهدة تركتُ النافذةَ وعدتُ إلى نفسي وإلى قلبي وعاد يُلازمني شعوري الغريب.

- الجمعة ٠١/ ٠١/ ١٩٩٣م.



درب السعادة !

لا أحد يدري أين هي دَرْبُ السَّعادة !

هكذا نقولُ ونتساءلُ بين الحين والآخر.

فقد تكونُ السعادة موجودةً بيننا، ونحن نبحثُ عنها بفانوس ديوجين.

قد تكون في الإيمان والتقوى، حيث الطُّهر ونقاء القلوب والسَّريرة.

قد تكون في البساطة والتواضع ومحبة الآخرين، والتغاضي عن أخطاء الناس وهفواتهم.

ربما تكون في الصحة والعافية والنشاط والحيويّة والقوّة والشباب.

ربما تكون في التفاهمِ والمحبّةِ والتراحمِ بين أفرادِ الأُسْرَةِ الواحدة.

ربما تكون على سِنّ القلم الذي يقطرُ محبّةً وإيماناً وتقوى.

ربما تكونُ في هذه الأشياءِ جميعها، ولكننا سنظلّ نبحثُ عنها في أماكنَ أخرى فربما . . وربما .

- الثلاثاء، ١٢ آب، ٢٠١٤ .



حليق القلب

وتضيقُ الدنيا في وَجْهي فأراها أَصغر من خُرْمِ الإبرة، ويقولُ لي صديقي: ما بِكَ اليومَ قد تَغَيَّرَ وَجْهُك، هل لأَنَّكَ غير حَلِيق الوَجْه، وَحَتَّى لو كنتُ حليقَ الوجهِ، فكيفَ أكونُ حَلِيقَ القلبِ، كيفَ أكونُ حليقَ القلب .

- السبت، ١٥ شباط، ٢٠٢٠.



قلبي يشدو كالكروان

في نفسي أفكارٌ تُحلّقُ كسربِ حماماتٍ بيضاء، ترفرفُ حيناً، وعلى قمم الآمال تحطّ حُمولتها .

تحلم أنّ الناسَ سيصيرون كفراخٍ في عشٍّ عالٍ، كأطفالٍ يُناغون بصمت، ويبتسمون ببسماتٍ أطهر من نور الشمس، وأنقى من نسمات الفجر .

تحلُمُ أنّ الخيرَ سيعمّ الكون برمته، يتقهقر منه الشر، ويلمّ سواد عمامته ويذوب في ليل الظلمات .

ما أجمل أن يبقى الناس. . . لكن؟

حاولتُ أقصّ جذورَ ال "لكن" لكني أخفقتُ، لا أخجل أن أُعلنَ للناس بأني أخفقت .

لا أرغبُ في معرفة الوجه الآخر، حسبي أن أقطف ثمراتِ الخير وحبّاتِ الصدق .

حسبـي . . لكـن يا ربـي بيـن الـحين عبـاراتٌ جوفـاء ، تصدمنـي أفعالٌ سوداء ، تصدمني أشياءٌ تخجل حتى أن تُدعى أشياء .

حاولتُ أغطّي عينـيّ ، أرفرفُ فوق تفاهـات النـاس ، لكن . . تبـاً أعودُ إليها ، أستدرك عباراتٍ تتأوه من عمق الآهات .

تمنيتُ لو أُخرِجُ "لكن" من قاموس الكلمات ، أُبعدها حتى تهوي في قعر سلال الظلمات .

حوّمتُ كفراشةِ حقلٍ تائـهةٍ لا تدري أين تبيت ، كعصفورٍ يـجرّ جناحيه المكسورَين ، يئنُّ في عمق الفلوات .

أحببتُ يا ربي أنْ أُبصرَ هذا الكون جميلاً ، تسمو فيه الأخلاق ، وتنمو فيه الخيرات .

لكنّ النـاسَ أضـاعوني ، عصـروا لُـبّ عظـامي ، ورمـوني كأشـلاءِ الأموات .

سـأظلّ يـا قلـبي كالكـروان أشـدو في ظلمـاتِ الليـلِ ، وأصـدحُ

كالشحرور يُسقسق في حِضْنِ الغابات.

ستظل تغرد يا قلبي.. تمجِّد في الناس الخير..

وتدعو الرحمةَ للأموات..

تدعو الرحمةَ للأموات.



أكمل المشوار

خرجَ يتمشّى في ساعاتِ الصَّباحِ الهادئة، رأى قُرْصَ الشَّمس وهو يرتفعُ شيئاً فشيئاً، ورأى شُعاعَهَا يَمتدّ كخيوطٍ من الذَّهَبِ الوهّاج، تذكَّر شَعر لَيْلاه، واستدَارَة وَجْهِهَا، وَغَصَّ بِرِيقِه وأَكْمَل الْمِشْوار.

الجمعة، ٢٤ تموز، ٢٠٢٠



رهينُ المحبسين

تُشرقُ الشمسُ، تمدّ خيوطَ أشعتِها الذهبية، فتكسو الأرضَ نوراً، وتمدّ الأعشابُ الصغيرةُ أعناقَها وكأنّها تُقبّلُ ذلك النورَ الجميل.

تمسحُ حبّاتِ الطلّ من على جبينها فتتساقط قطراتٌ صغيرة كدموعِ والهٍ حزين.

أجلسُ صامتاً، أتأمّلُ إشراقةَ ذلك اليوم الجديد، أتأمّل النور السماويّ يزيحُ فلولَ الظلمة حتى تختفي تماماً.

تضطربُ الأحاسيسُ في نفسي، وترفرفُ الأخيلةُ والهواجسُ في فضاء مُخيلتي، ماذا عساي أفعل في هذا اليوم، وقد مرّت أيام أخرى كثيرة يُحلّق فيها الخيال كحماماتٍ تهاجر إلى أرض الشمال بينما يظل الجسد رهين مكانٍ لا يبرحه ولا يستطيع الخروجَ منه إلا قليلا.

قيودٌ بشريةٌ تقيدنا من حيث نريد أو لا نريد، فنقبع في مكاننا محدودي الحركة والحرية.

لا يسعفنا الخيالُ مهما حلّقَ وسَمَا، فالبَوْنُ شاسعٌ بينَ الحقيقةِ والخيال، يعود فيها الخيالُ في نهاية المطافِ ليرتمي لا حول له ولا قوة، وكأن جناحَيه قد غدرا به فهوى إلى قرارة الواقع الأليم.

ربما يتساءل المرء إلى متى؟ . . وإلى متى سيظل رهين المحبسين، محدود الحركة مقيد الحرية فلا يجد جواباً يرى فيه انعتاقه من تلك القيود.

أتأمّل في الشمس، فأراها قد ارتفعت كثيراً وهي حرّة طليقة، فتتصارع في نفسي الهواجسُ وكأنها تحسدُ الشمسَ على تلك النعمةِ والحرية، وتخاطب الشمس قائلة: متى سأصبح مثلك أيتها الشمس

حرة طليقة، متى؟ متى!.

ترسل الشمسُ خيوطاً من شعاعها الذهبي فتلفّ به جسدي كلّه، وكأنها تعانقني بهدوءٍ وصمت، وتمسح قطراتٍ من اليأس التصقت بأعلى جبيني، وتمرّ نفحةٌ من نسيمٍ باردٍ عليل تنعشُ ما تبقّى من كآبة روحي، فأشعر بنمنمةٍ ونعاسٍ تسدل جفوني المرهقة، ولا أصحو إلا على صوتٍ خافتٍ يهمس في أعماق روحي: إنَّ الفَرَجَ قريب.. إنّ الفَرَجَ قَريب.



وطوراً تعافُ الخيلُ ما نحن نشربُ

أيها الشاعرُ المهجريّ، يا صاحبَ خصلةِ الشّعْر، لا أدري كيف تذكرتُ ذلك المقطعَ من قصيدتك، هل هو تشابهٌ في الأحداثِ والحالات، أم هو تواردٌ للخواطر والأفكار، ربما هذه وتلك.

وصفتَ لنا حالتك في المهجر وحياة المشقات التي عِشْتَها ومررتَ بها، فمَن يصف حالتي أنا، ومن يتغنى بأنغام روحي التائهة، ومن يعزف ألحانَ الكآبةِ التي تتمطّى في ثنايا فؤادي.

لقد هاجرتْ عصافيرُ الشعرِ إلى البعيد البعيد، واختفت عفاريتُ عبقرَ فلم يعد يبدو لها أثر، وكأنها اِرْتَدَتْ طاقيةَ الإخفاء فلم تعد تُبصرُها عيناي ولم تعد تَظْهرُ لي.

أجلسُ في ظلمةِ الليل أحلبُ أَشْطُرَ القريحةِ، فلا تجودُ بلبنٍ ولا

دَرّ، أسـمع زمزمة البعوض بجانـبي يتحيّن الفُرَصَ لينقضَّ على جسـمي المُنهكِ المريضِ ويمتصّ منه بقايا دماءٍ شاحبةٍ عليلة.

أُحـاولُ أن أعـودَ بالـذاكرة إلى أيـامٍ أكثـر جـمالاً، وإلى عصـرٍ أكثـر سعادةً، ولكن قواي تخونني وتهوي بي في مهاوي التعب والإرهاق.

هـا أنـا أجلس في بـيتٍ من الصفيح يتلظى في النهار كصاجِ أُمِّـي القديم، الأفق محدودٌ ورائي بسبب صفحة الجبل التـي تحجب عني رؤية الأشياء البعيدة، وكأنها تريد أن تقضي على ما تبقى من خيال فتحصره في زاوية الركود والخمول وتحبسه في قمقم المكان.

آه يـا شـاعري الـحزين، مـا أشـبه الليلـة بالبارحـة، أنـت تَـئِنُّ في المهجر، وأنا أئنُّ هنا.. وآلامنا هي الآلام وأحزاننا صدى حطامٍ من نفوسنا المنكسرة.

لعلّك نهضتَ من مهجعك وقمتَ من مرقدك، أما أنا فما زلتُ أمدّ يديّ لأُمْسِكَ بخيوط الأمل علَّها تُساعدني على النهوض.

ما زلتُ أحاول كنملة تيمورلنك، لعلني في نهاية المطاف أقوى على النهوض..

لعلني في نهاية المطاف.. لَعَلّني.. لَعَلّني..

الشاعر المذكور هنا هو الشاعر المهجري إلياس فرحات، والعنوان من قصيدة له اسمها "حياة مشقات"، أما خصلة الشعر فهي قصيدة له يقول فيها:

خصلة الشعر التي أهديتنيها .... عندما البينُ دعاني بالنفير

لم أزل أتلو سطورَ الحبّ فيها .... وسأتلوها إلى اليوم الأخير.

الأحد، ١٨ أيلول، ٢٠١١



سفينة القلق

رَكِبَ سـفينةَ القَلَق، ومَـخَرَ عُبَابَ العناءِ والتَّعب، أدار حيزومَها نحو جزيرة الراحة، وشواطيء الهدوء والسكينة، رأى النوارس تـحوم حوله بأجنحتها الطويلة بـحركاتٍ لولبيـة، اشـتدّتِ الريح، مالَ الصَّاري قليلاً، وانـحرف الشِّراع، كانت جزيرة الراحـة تبدو بعيدةً في الأفـق، وكان يُمَنّـِي نفسَـهُ بالوصـول إليها في وقـتٍ قريـب، ارتفعـتِ الأمـواجُ واصـطخبت في هـديرٍ مسـموع، تهـادتِ السـفينةُ تعلـو تـارةً وتهـوي أُخرى، وانحرفَ المسار، وأخذت الجزيرة تختفي شيئاً فشيئاً حتى تلاشت معالِمُها، وظلَّت الأمواجُ تتقاذفُ به، وهو ما زال يـحملق في الأفـق البعيـد لعـل الجزيـرة تبـدو لـه مـن جديـد، لعلـها تبـدو لـه مـن جديد . .

- الخميس، ٢٣ تموز، ٢٠٢٠.



زائرتي

وَزَائِرَتِـي كَـأَنّ بهَـا حَيَـاءً ... فَلَـيسَ تَـزُورُ إلاّ فِي الظّـلامِ

بَذلْتُ لهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايَا ... فَعَافَتْهَـا وَبَاتَـتْ في عِظَـامي

هكذا قال المتنبي عندما زارته الحمَّى، وقال خليل مطران من بعده:

دَاءٌ أَلَمَّ فخِلْتُ فيهِ شِفَائي ... من صَبْوَتي، فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائي

ويبدو أنّ أحد جنود الحمّى انطلق على وجهه حتى ألقى عصا التسيار في ساحتِنا، وقد طابَ له المقام فنصبَ خيمتَهُ وضربَ أطنابَه، واسترخى غير مستعجلٍ على الرحيل.

حاولت أن أصرفه بذوق ببعض المُسَكّنات ولكنه سَخِرَ مني ولم يبرح مكانَهُ، أردت أن أستعينَ بصديقٍ فلم أجد أفضل من الطبيب فوخزني بإبرة سميكة لو وَخَزَ بها فيلاً لوقعَ مغشيّاً عليه، وأحضرَ لي

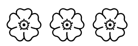
حفنةً منَ الحُبوبِ وكأس ماء وقال خذها مرةً واحدة فامتثلتُ لأمرِهِ مُرغماً، ولكنني عند الخروج كنتُ بحاجةٍ لمن يُمسكُ بيدي ويقودني حتى مقعد السيارة.

وما وصلت البيت حتى كان العرق يسيل ويتصبّب مني وكأننا في شتاءٍ من العرق، لم أذكر بعدها ما حدث لأنني غرقتُ في نومٍ ثقيلٍ كنوم الدبِّ القطبيِّ في فصل الشتاء، وكانت أُمّ العيال تأتي بين الحين والآخر لتفحص إن كنتُ ما زلت حياً أم لا . . .

ومضى أسبوع وأنا أتحسّنُ صباحاً ثم تعودني الحُمَّى في ساعات الظهر وما بعده، ولكنني أقول لها ما قاله المتنبي من قبل:

فإنْ أمرَضْ فما مرضَ اصْطِباري   وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتزَامي

- الأربعاء، ١٧ كانون الأول، ٢٠١٤.

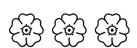


تـشكو لـه ويـشكـو لهـا

أرادَ أنْ يتحدَّثَ إليها ، بعدَ أَنْ مَلَّ منَ الـمطالعةِ، وكَلَّ منَ الكتابةِ وضَجرَ منَ الحاسوب، ولكنَّها كانت مُنشغلةً بنفسِهَا ، وهي تَفْحص نِسبةَ السُّكَّرِ المرتفعِ عندَهَا ، وتشكو من صداعٍ في رأسِهَا ، وبعد أَنْ فَرَغَتْ من عملِهَا هذا استدَارَتْ نحوه، فبادَرَهَا بقولِهِ: أشعرُ بألمٍ في باطنِ قَدَمَيّ، ويبدو أَنَّ المرضَ انحدَرَ نحوهما ، وأَشعرُ بدُوَارٍ في رأسي، ولم أَعُدْ أُبْصِر جَيّداً .

وهكذا بدأَ الحديثُ تشكو له، ويشكو لها ، ولا شيءَ غير الشّكْوَى والتذمُّر، وَيَسْتَمِرَّانِ في الشَّكْوَى على أنغامِ موسيقى قَدِيمَة تَنْبَعِثُ من قَنَاةِ زوينة الفضائية، وَعَلَى المنصَّة ناصِب رَشَّاشه عَلَى المنصَّة. . .

○ الجمعة، ٢٥ آب، ٢٠١٧.



أيَّتُها الكلمات اعذريني

أيَّتُها الكلمات اعذريني، إذا لم أَجِدْ بكِ أداةً للتعبير.

إنَّ الألَمَ يُحَسّ بِهِ ولا يُكتب

وإنَّ المرارةَ تبقى في النفسِ ولا تسيلُ على الورق

وإنَّ الجرحَ ينزِفُ دماً لا حِبْراً

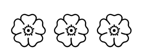
وإنَّ الحزنَ يُفَتِّتُ النفسَ ولا يُبَعثِرُ الحروف

أيّتُها الكلمات اعذريني اعذريني

فالجرح أعمقُ من أن تحملَه الألفاظُ أو تُعبِّر عنه الكلمات.

اعذريني. . اعذريني.

○ السبت، ٢١ كانون الثاني، ٢٠١٧.



الحياة

كانَ يتحدَّث بينه وبين نفسِه عَنِ الجمال؛ جمال الطبيعة، شُروق الشَّمس، خُضرة الأشجار، جمال النباتات وأزهارها، وكانَ يسأل نفسَهُ: تُرى هل إحساسُنا بالجَمَال يظلّ كما هو ولا يَتَغَيَّر، وهل لتَقَدُّمِ العُمر تأثيرٌ عليه، فالجمالُ الذي نراهُ بعينِ الشَّبابِ وعينِ الحَمَاسِ هل هو نفسُ الجمالِ الذي نراه بعد أن تتَقَدَّمَ بنا قافلةُ العُمر، ويُبْعِد بها الْمَشْحَى.

كان يُفكِّر ويُفكِّر، وكانَ يُؤمن في قرارةِ نفسِه أنَّ الجمالَ هو هو لم يتغيَّر، وما يتغيّر هو إحساسُنا به، فما نراهُ بعينِ الشَّبابِ يختلفُ عمَّا نراهُ بعدَ تقدُّمِ العمر، وحتَّى لو أقنعنا أنفسَنا بأنَّ كُلَّ شيءٍ ما زالَ على ما هو عليه، إلا أنَّ الطعمَ يتغير والذائقة تتغير والإحساس يتغير، وما

كانَ حماساً يتحوّل إلى فتُور، وما كان يُثير فينا الانفعالَ يصبح لا تأثير له، إنها الحياة، في مراحلها المختلفة، ولا بدَّ أن نعيشَها كما هي، فليس أمامنا خِيَار آخر، إنه الواقع الذي يجب أن نرضى به شئنا ذلك أم أبينا .



الشيخوخة

ويتقدّم العمر، ويضرب الوهنُ أطنابَه، فيسير الإنسان سيراً بطيئاً متثاقلاً، يسير الإنسانُ وخلفه سِجِلٌّ حافلٌ من الأعمال التي يتذكَّرها، ويهضمها ويحاول أن يعيشها، ولكنه يقصُر دونها، وتقصُرُ هِمّتُهُ الواهيةُ بعد أن أثقلت السنونُ أطرافه، ورَضَّتِ الحياةُ عظامَه.

ما زال قلبُه شاباً من حيث الإحساس، من حيث الشعور، ولكنه من حيث الصحة ضعيفٌ واهٍ يكاد يتوقّف عن النبض، يتمنَّى أن يعود الزمانُ، زمان القوة والشباب والفُتُوَّة، ولكنه لم يَعُدْ لغيره فهل يعود إليه؟ هيهات هيهات؟!.

ينظر إلى الدنيا حواليه فإذا بها ليست الدنيا التي عرفها، والتي كانت تأتيه طائعةً منقادة، فما بالها اليوم تنأى عنه وتبتعد، وتُحجم عنه

كلما طلبها أو حاول التودّد إليها .

ها هم الناس ينظرون إليه نظرة رحمةٍ وإشفاق، نظرةً ملؤها الرحمة والعطف لهذا الضعيف الذي لا تكاد تحمله قدماه، والذي ترتجف يداه وهو يحمل عكازته أو يده الثالثة كما يسميها ليستند عليها خشية الوقوع فيُعرّض نفسه لمزيدٍ من الآلام والأوجاع.

وعندما ينظر إلى نفسه وإلى ماضيه العريق يقف وِقفةَ المتسائل ويسأل نفسه: ماذا تبقّى؟ فلا يجد بجانبه إلا كيساً من النايلون يحمل أدويته المتنوعة التي يُسَكّنُ بها أعاصير مرضه وزوابع أوجاعه وآلام روحه.

هذا هو الإنسان في صورته الأخيرة وفي مرحلة ضعفه وعجزه، فهل تستحق الدنيا أن نلهث وراءها مذعورين، وأن نستجدي عطفها في

كلّ حينٍ وحين.

* * *

مستوحاة من منظر شيخ يحمل كيس أدويته ويصعد بخطى ثقيلة على الدرجات الطويلة لعيادة المرضى.

○ كتبت في: ٢٠/٠٨/ ٢٠٠٥م، ونشرت في كتاب «من كل وادٍ عصا»، في الصفحة ١٣٩.



نستجدي على قارعة الشعر

نسـتجدي على قارعـة الشّعْـر، نبسـط يـداً، نُظهـر ضـعفاً، نَعصـر فكراً، نُمسك حرفاً، يهرب آخر، نكتب كلمة، نُردف أخرى، نـجمع بيتاً، لا يصلح هذا للشعر.

نتأوه حيناً، ننظر في سقف العقل، لا نُبصر شـيئاً، اللوح نظيفٌ، من أين تَجيءُ حروف الفكر.

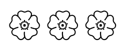
تـذكّر حُبَّـاً، نتصـوَّر عطفـاً، نتخيَّـل ليلى تـختال بـمشيتها، كغـزال يَمشي فوق الصخر.

نُمسـك خيطـاً، نـجذب آخـر، نتمطَّى كالليـل، نرسـم موجـاً، نرسـم ريحاً، وقبطاناً في عمق البحر.

نتثاءب تعباً ونعاساً، لـم نكتـب شـيئاً، وَلَّـى الليـلُ، بزغ الفجـر، ولـم

نكتب شيئاً من شعر، لم نكتب شيئاً من شِعْر.

○ الثلاثاء، ١٩ شباط، ٢٠١٩



كيفَ، وكيفَ؟

كيفَ للقريحةِ أنْ تتفَتَّقَ ولو بجملةٍ في هذا العصرِ المشحون.

وكيفَ للفكرِ أَنْ يُرفرفَ حُرّاً طليقاً وكلّ ما حوله مَغْبُون.

وكيفَ للعبارَاتِ أَنْ تنتظمَ وتتناسَقَ كأيّ عقدٍ ثمين

وكيفَ للألفاظِ أَنْ تتهَادى كَلَحْنٍ شَجِيٍّ حزين

وكيفَ تُغَرِّدُ بلابلُ روحي، وَيحيا بقلبي الحَنين

وكيف لي وأنا أجترُّ فُتَاتَ أيّامي وحزني الدّفين

كيف لي أَنْ أَعْصِرَ رُوحي لِتَأْتي بشِعْرٍ رَصِين

لتأتي بشِعْرٍ رَصِين.

- الاثنين، ١١ تشرين الثاني، ٢٠١٩.



الواقع الجميل

كان في بداية طريقه الأدبي، فقرر أن يعانقَ الشمسَ، ولكنه رآها بعيدةً وكبيرة ولا يستطيع أن يُطوّقها بذراعيه، فترك الموضوع.

نظر نحو القمر، فأعجبه نوره الخافت، وبياضه الهادئ، وتمنى لو يضع رأسه على ذراعه، ويغفو قليلاً، ولكن ذلك كان صعب المنال، فعاد إلى نفسه وترك الموضوع.

مَرَّ نسيمٌ ناعم فأنعش نفسَه، ودغدغ أوتار روحه، فأراد أن يتبعه ويرافقه، ولكنه كان ثقيل الجسم ولا يستطيع مجاراة النسيم في خفته، وفي هفهفاته الناعمة، فيئسَ وعاد إلى نفسِه وتركَ الموضوع.

كان يريد أن يعانق الشمس، ويرتمي في أحضان القمر، ويرقص مع النسيم، ولكنه في كلِّ مرة كان يرى أنَّ الخيال شيء، وأنَّ الواقعَ شيءٌ آخر.

فكَّرَ وفكَّر، ثم أمسكَ بقلمه النحيل، وأخذ يكتب:

تعالي إليَّ حبيبتي..

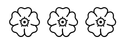
وقبل أن يُكمل الجملة الثانية، كانت يدٌ ناعمة حانية تربت على كتفه، وصوتٌ ناعمٌ رخيمٌ يقولُ بما يُشبه الهمس:

خذ الشاي يا حبيبي..

نَسِيَ الشَّمْسَ والقمرَ وهفهفاتِ النسيمِ، واستدارَ نحوَها، وهو يبتسمُ ابتسامةً أعادته إلى الواقع الجميل.

أعادته إلى الواقع الجميل.

- الأحد، ٢٨ حزيران، ٢٠٢٠.



أينَ الشباب وعنفُه..!!

وأعودُ اليومَ خالي الوفاض، تكتكتُ ما في جيبي فوجدته "تَمْرَاً معدوداً في جِرَابٍ مَوْكِيّ"، حككتُ جوانب رأسي فلم أجد إلا جُذوعاً قليلةٍ لشعرٍ لفحته رياحُ الصيفِ وابْيَضَّ عودُه، أمسكتُ ذقني بين سَبَّابَتي وإبهامي فوجدتُ أخاديدَ وتجاعيدَ كأرضٍ خَدَّدَتْهَا سيولُ الشتاء، نظرتُ في المرآةِ فأجفلتُ ولم أصدِّقْ أنَّ ذلك الأشمطَ هو أنا.

وَيْحِي، أينَ الشبابُ وعنفُه والشَّوقُ تملِكُهُ يَدَاي.. أينَ الربيعُ ودِفْئُهُ... أترى يعودُ إلى رُباي، سمعتُ قهقهةً من خلفي وصدى صوتٍ أَجَشٍّ مبحوحٍ كأنه يقول لي: ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً...

لِنُخبرهُ بما فعلَ المشيبُ . .

أمسكتُ بشحمةِ أذني، وأصختُ السمعَ وفكرت قليلاً: أَتُرَى ذلك الصَّدَى هو هاتفٌ من شياطين الشعر؟ .

لقد أصبحَ يعود لِمَاماً، إنَّه كالزمنِ وكالناسِ، مثل كِلابِ الفَرَس، عندما تركضُ الفرسُ تركض الكلابُ معها، وعندما تقع تكون أَوَّل مَنْ يَنهشها . .

نظرتُ إلى شاشةِ الحاسوب، وإلى ما خَلَّفتْ من سوادٍ يُحيطُ بحَدَقَتي عينيّ، وخاطبتُ مُلهمتي قائلاً:

أَجيبي فإني . . غَزاني المشيبُ

وهبّتْ بصدري رِياحُ القَلَق

طَوَيتُ شَبابي . . بليلِ الحروفِ

وكانَ حَصادي سَواد الحَدَق

وجُبْتُ عصوراً . . بعُمرِ الزمانِ

وعُدتُ حزيناً كثيرَ الأرق

سـرحتُ بفكري قليلاً، وحلّقتُ في ما وراء الأفـق، ورفرفتْ بي أجنحـةُ الخيـالِ في عوالـمَ أُخـرى، وإذا بيـدٍ حانيـةٍ تربتْ على كتفـي، وصوت ناعم يقول: أنت تَعِبٌ يا حبيبي، قم واسترح على سريرك. . ألـم تتعب من هذا الحاسوب. .

ألقيتُ بنفسي على السرير، وعادت الهواجسُ ترفرفُ فوق رأسي، وصِرْتُ أُتمتمُ بما بدأتُ به:

أينَ الشبابُ وعنفُه والشّوقُ تملِكُهُ يدَاي

أينَ الربيعُ ودِفْئُهُ. . . أتُرى يعودُ إلى رُباي



عندما نكْبُر

شاشةُ حاسوبٍ قديمة كنت أستخدمها في هوايتــي الـمفضَّلة وهـي فحص الحواسيب وتشغيل ما تعطَّل منها ، وظلَّت الشاشـةُ فترةً من الـزمنِ تـجلس وحيـدةً على الطاولـة بسـبب انشـغالي عنـها في أمـور الحياة الكثيرة، فامتلأت بالغبار حتَّى تغيَّر لونُها ولم تـجدْ من يـنظِّفها أو يعتني بها .

ربـما كانت حزينة، وربـما كانت تشعر بالوحشـة، ولكـنها ظلَّت صامتةً ولزمت مكانها ولـم تبرحه، إلى أن جاء يومٌ حصلتُ فيـه على شاشـةٍ رفيعـة، لـم تكـن جديـدةً ولكنـها رفيعـة ورقيقـة وواضـحة الصورة، فقلت لحفيدي: "ارفع هذه الشاشة القديمة وضع الـجديدة مكانـها ، فهي تأخذ حيِّزاً صغيراً على الطاولة، إضافةً إلى وضوحها

ودقَّتِها .

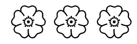
تناول حفيدي الشاشة القديمة وحملها بيديه الاثنتين، فهي مكتنزة وثقيلة، ثم رماها بقوة خارج الغرفة، وما إن استقرَّت على الأرض حتى ركلها ببسطاره الثقيل فتدحرجت عدَّة مراتٍ قبل أن تقفَ وتستقرّ.

نظرتُ إلى الشاشة وإلى نهايتها المأساوية، وقلتُ لابني الذي كان يقف إلى جانبي هل رأيتَ ما فعل ابنُك في الشاشة، وكيف رماها وركلها برجله بعد أن استغنى عنها، وربما ستفعلون بنا مثلما فعلتهم بها بعد أن نشيخَ ونكبر.

نظر ابني إليَّ نظرةَ استغرابٍ وتَعجُّب، ولم يَرُقْهُ كلامي، وابتسمَ ابتسامةً خفيفة ثم سكت ولم يقل شيئاً .

ما أكثر الذين يلاقون نفسَ المصير بعد أن يَستغنيَ الناسُ عن خدماتهم، أو لم يَعُد في مقدورهم تقديم خدماتٍ أخرى، فيُتركونَ على هامشِ الإهمالِ، ويبحث الناسُ عن فرائسَ أخرى تُشبعُ جُوعَ نَهَمِهم وشَرَهِهم الذي لا يعرفُ الحدود .

○ الثلاثاء ١٩/٠٨/٢٠١٤.



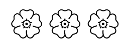
عدتَ يا يومَ مولدي

بعد يومٍ طويلٍ من الـحركة والعمل، أردت في الليل أن أرتاح قليلاً، وما إن وضعتُ نفسي على السرير وتَمـطّيتُ بصلبـي قليلاً، ولكن قبـل أن أُردِفَ أعجَـازاً وأنـوء بكلكـلِ، سـمعتُ طرقـاً على البـاب الحديديّ للغرفة، ثم دخلت ابنتي متجهمةَ الوجه وهي تقول: بابا تعال لأُمّي، قلتُ: وماذا أصابَ أمّك وقد كنتُ عندها قبل قليل، وهل هي مريضة؟، قالت: لا أدري ولكن تعال لها، قلت: إنها تمثيليـة من أفلامـك الهوليووديـة، هـل عملـتِ لي حفلـةً بـمناسبة عيـد ميلادي، ضحكت وقالت تعال.

نهضتُ متثاقلاً وذهبتُ، وما إن وصلتُ إلا وكعكـة كبيرة عليها صورتي، وشـموع مضـاءة وصحون مليئـة على كل جانب، والبنات

تصطف حول الطاولة، وكل عام وأنت بخير يا بابا، وهات يا بوسـات، وأنا أمسح وجهي كما يفعل الأطفال الصغار، ثم قالت إحداهن: خذ السـكين وقُصّ الكعكة، قلتُ: وكيف أَقُصُّ حـالي، ولكن في النهايـة قطعـنَ الصـورة، ووزعـنَ علـى الأولاد، ونسـيتُ مـرضَ السُّكَّـري فتناولـتُ قطعـةً مـن الكعكـةِ وقلـتُ ليحـدث مـا يـحدث، وبعـدَ أنْ شكرتُهـن على هـذا الحفل، عـدتُ للسـرير فأردفت أعجـازاً في هـذه المرّة ونمتُ حتى قبيل الفجر.

- الجمعة، ١٧ تشرين الأول، ٢٠١٤.



صورةٌ من الماضي الجميل

عندما يكبر الإنسانُ ويتقدّم به العُمر يَحِنُّ إلى الـماضي، يحـنُّ إلى الشبابِ والقوَّةِ والنشاطِ والحيوية، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ يـمرُّ به الـجميع، ولا نَشِذُّ عن هـذه القاعدة، وفي الصورةِ الـمُرفقَةِ، والتـي التُقِطَتْ في ٢٠ شـباط ١٩٧٩، أبدو أنا بشَعري الأسـود الكَثّ الطويل، أَحْـمِلُ ابنـي "جـمال" وعمره ثلاثة أيام، وكـنا نَـهتَمُّ بالصُّوَرِ، ونقتنـي آلات التصوير ونتصوّرُ في كلّ مناسبة، ويبدو في الصورةِ بـيتُ الصَّفيحِ الذي كان مُكَوَّناً من غرفـةٍ واحـدةٍ هـي كلّ البيت؛ الصـالون وغرفـة النوم والـمطبخ، وليست هناك غرفة أُخرى سِواها . ورغم ذلك كنت أُزّيـنُ الجُدرانَ من الداخلِ بلوحاتٍ زيتية ملونة، فقد كنتُ رسّاماً في ذلك الوقت، وإن كنتُ اليومَ قد نسيتُ الرسمَ تماماً .

كذلك يبدو في الصورة هوائي التلفزيون يرتفع عالياً ليلتقطَ الـمحطةَ بوضـوح، في الأعلى هـوائي الأردن، وأسـفل منه هـوائي مصر وبعض

المحطات الأخرى، وكان التلفزيون من نوع "غولدستار" وحجمه ١٢ بوصة، أسود أبيض يعمل على بطارية السيارة، وقد اشتريته بعدة أقساط نظراً لغلاء ثمنه في ذلك الزمان.

وتبدو أرضنا السهلية المنبسطة المزروعة بالشعير، وكان مَنْ لا يزرع أرضه يسخر الناس منه، ويقولون: "اِزْرَع يَعدم، ولا يظلّ تُنْدَمَ"؛ أي ازرع أرضك كسائر الناس فإن أخصبت كَسِبْتَ ذلك، وإن أَمْحلت يكون مثلك مثل بقية المزارعين.

هذه صورة من ماضٍ جميل، تجلّت فيه البساطة والطيبة والعفوية وهدوء البال، فإن يكن قد نأى عنا بعض الشيء فما زالت ذكراه جميلة عطرة نتذكرها بكلّ خير.

○ الأربعاء، ١٩ تشرين الثاني، ٢٠١٤.





هذا عار !

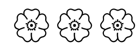
كُنْتُ في بداية عام ١٩٧٤ أتعلم سياقة على شاحنة، وكنا نذهب قبل الوقت وننتظر في مكتب مدرسة التعليم حتى يأتي دورنا ، وكنا نتكلم بالعبرية، وكأننا نريد أن نُثبت للآخرين بأنه رغم صغر سِنّنا إلا أننا نتكلم بلغةٍ أخرى غير العربية، وإن كنا نجهلُ من العبرية أكثر مما نعرف.

وكان هناك شابٌّ مسيحيّ من الناصرة في الثلاثينات من عمره واسمه "سِيمُون"، وكان يرتدي سروال جينس ومعطفاً قصيراً من الجينس أيضاً، ولم تكن تلك الموضة قد وصلتنا بعد، وكان سيمون يَسمعنا ونحنُ نتكلم بالعبرية فيستاء مما يسمع، وكان يقول لنا ناصحاً: يا إخوان اللي بتفعلوه هذا عار، والله عار، احكوا بلغتكم

العربية..

ومرت أربعة عقود لا أدري ماذا فعلت بها الأيام بسيمون، ولكن جـملته تلك ما زالت تَرِنّ في أذني: هـذا عـار، والله عـار، عـار عليكم..

- الأربعاء، ٠٣ أيلول، ٢٠١٤.



أنا والحاسوب

اِحْمَرَّت حدقتا حاسوبي النقَّال، وهو على طاولةٍ صغيرةٍ بجانب رأسي، وارتفع صوتُ زفيره، وأخذ يفحُّ كالأفعى في يومٍ قائظ، وتسرّبتِ الحرارةُ من أسفله، وبدا في وضعٍ غير طبيعيّ.

قلقتُ عليه وخشيتُ إن تركته على حاله أن يصيبه الإجهادُ ويقضي عليه، وعندها أصيرُ وحيداً وأعيشُ في غُرْبة نفسي.

نظرتُ إلى قُرْصِه الصَّلب فبدا منتفخاً كبطن أمي عندما كانت حبلى بأخي الصغير.

كان قلبه يزداد وجيباً، ومراوح التبريد تجري بأقصى سرعة، وصوته يرتفع فخشيت أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

فكّرتُ أن أضع في حَلْقِه عدَّةَ قَطَراتٍ من "الأوبتالغين"، ولكنني

خشيتُ أن يحترق، تذكرتُ بيتاً من الشعر لطلعت الرفاعي تقول فيه:

لا بَدَّ أَنْ أَحْوِي إذَنْ . . . . في الجَيْبِ حَبَّ الأسبرين

ولكن من أين لي أسبرين في هذا الليل الدامس، إذن من الأفضل أن أَدُقَّ حبَّـة "أكامول" دَقَّـاً ناعماً وأرشُّـها على واجهتـه لعلّ حرارتـه تَخِفّ ويزول عنه العناء .

تذكرت المرحومة الخنساء، وقلت متأسياً ومقلداً لها :

ألا يا حاسوبُ إن أبكيتَ عيني . . فقد أضحكتني زمناً طويلا

حاولت أن أعودَ بالذاكرة إلى الوراء وأحاول تشخيص العِلَّةِ، فلا بُدَّ أن تكونَ هناك برامج تعمل في الخلفية ولا نراها ، ولا بُدَّ أنْ تكونَ هناك جراثيم من الانترنت تُثقل كاهِلَ الذاكرة وتقصم ظهر المُعَالِج الرئيسي .

ربـما، ولكننـي لـم أجـد الـحلّ وظـل الـحاسوب يـفحّ كـالأفعى وصـوته يـملأ الغرفـة، خشـيتُ أن تسـتيقظ أم العيـال علـى صـوته المزعج وقد تثور وتكسره أمام عينَيّ، بلعتُ ريقي بـمرارة وحككتُ شعري بأطرافِ أصابعي عَلَّني أجدُ حلاً، وعندما أعيتنـي الوسيلة، أطفأتُ حاسوبي برفق، وعدت أتمتم بيني وبين نفسي:

ألا يا حاسوبُ إن أبكيتَ عيني

فقد أضحكتني زمناً طويلا

فقد أضحكتني زمناً طويلا

- السبت، ٢٥ كانون ثانٍ ٢٠١٤.



البريزة المفقودة

كان ذلك في بدايةِ سنواتِ السبعين من القرنِ الـماضي، وكنا نعيشُ في بيتٍ من الشَّعَر كتلك البيوت القديـمة التي كانَ يستعملها البدو في صـحراءِ النقـب، وكـانَ قبـلَ ذلـك قـد تُـوفِّيَ أخٌ لي في أواخـرِ العـام ١٩٦٩، بعد مرضٍ أقعدَهُ حوالي عامين ثم قضى عليه في نهايةِ الأمر.

وأنفق أبي خلالَ مرضِ أخي كلّ ما كانَ معهُ من نقودٍ، وما كانَ يدَّخرُهُ من ليراتٍ ذهبيةٍ كانت أمي تـخزنُها في عُلبةٍ حديديةٍ مـحكمةِ الإغـلاق، تشـبه عُلبـة حليـب النيـدو الحالـيّة، وتضع تلـك اللـيرات الذهبيـة الصـفراء في نِـجَارَةٍ ناعمـةٍ حتى لا تتجرّح أو يـذهبَ بريـقُها كما أوصاهم بائعُ الذهبِ حينذاك، ولم يبقَ مع أبي بعدها ما يُـنفقه على البيت أو يصرف منه على عياله.

وذات يومٍ انتهى الطحينُ من البيت، وإذا انتهى الطحينُ فليس هناك خبز، وكانت النساءُ يُعدِدنَ الخبزَ في البيت، وهو ركيزةُ الطعامِ عند النَّاس، وكثيراً ما يكتفون به ويأكلونه ساخناً عندما ينزلُ من على الصَّاجِ مباشرةً ولا يأكلونَ معه شيئاً آخر، وكان طعمُه لذيذاً وهو جديدٌ وطازج.

لم يكن لدينا جيران لتستلفَ منهم أمي طحيناً وتصنع لنا خبزاً، فقد بنى أبي بيتَهُ على مكانٍ مرتفعٍ من أرضِهِ الخاصّة التي ورثَها عن أبيه، وبعد أن تقاسمَ الأخوةُ أرضَ أبيهم سكنَ كلُّ واحدٍ منهم في القطعةِ التي خرجتْ من نصيبه، وكانت قطعةُ أبي أعلاهنَّ وأبعدها عن القطعِ الأخرى.

فكَّرت أمي أن تُلهينا وتُسكتَ جوعَنا برغيفِ خبزٍ إفرنجي، وكان

ثـمنه لـيرةً واحـدة، وكانـت الليرةُ مكونـةً مـن قِطَعٍ أصـغر منـها، منها "الشّـلِن"؛ وهـو عبـارةٌ عـن خـمسِ أغـورات، و"البريـزة" وهـي قطعـة برونزيـة صـفراء على جهةٍ منها صورة شـجرة نـخيل، وكانت البريزة عبارة عن عشر أغورات، وكلّ عشر قطعٍ منها تساوي ليرةً واحدة.

بدأت أمي تجمع البرايز من هنا وهناك، من صندوقها حيناً، ومن مـحفظةِ أبي حينـاً آخـر، فاسـتطاعت بعد بـحثٍ وعنـاءٍ طويـلٍ أن تجمعَ تسع برايز، وبقيت بريزةٌ واحدةٌ ناقصة لنكملَ الليرةَ ثمن رغيـف الخبز، ولكننا لم نجدها.

حاولـت أمـي تكـتكة كلّ مكـانٍ في بيتنـا، وفي صـندوقها الـخاصّ ولكنها لـم تـجد، وبقينا نتضوّرُ جوعـاً ولا نـجدُ لقمـةً من الـخبز، أو تلك القطعة الناعمة التي حلمنا بها من الرغيف الافرنجيّ الطريّ.

عَمَدَ أبي إلى بعضِ الحبوبِ القليلة التي كانت في كيسٍ تُرابيّ اللون، كتلك التي تنثرها أمي لدجاجاتها، وأتى بقلاية القهوة ووضعها على النار وملأها بحبوبِ الحنطةِ وحمَّصَها لنا حتى أصبحتْ شقراء هشَّة، ودعانا لنأكلَ منها وأخبرنا أن اسمها "قليّة"، وكنا صغاراً وأسنانُنا جديدة وقويّة فقرشناها قَرْشَاً، ووجدنا فيها لذةً ومتعةً أسكتت جوعَنا لبعضِ حين.

كانت أمي تُفكر مقهورةً في تلك الحال، وما آلَ إليه وضعُنا الماليّ حتى وصلنا لتلك الدرجة، وماذا ستفعل حِيَالَ هذا الوضع، وكيف تحصل على نقودٍ تشتري لنا بها كيساً من الطحين، بينما كان أبي يجلس قرب الموقد يشعلُ نارَهُ ويعدّ قهوته ولا ندري بماذا كان يفكّر.

وفي اليوم التالي، وكان يوم خميس، وفي كلّ يومِ خميسٍ كان يُقام سوقٌ للبدو في مدينةِ بئر السبع، وما طلعَ صباح ذلك اليوم حتى ذهبت أمي لبئر السبع، وهي تحملُ شيئاً ثقيلاً تلفّه في كيسٍ وتحمله على رأسها .

وما مضت عدةُ ساعاتٍ من النهار إلا وقد عادت مُرهقةً مُتعبة، وبعد أن استراحت قليلاً أعطت أبي مبلغاً من المال ليشتري لنا طحيناً وطعاماً من البقّالة الوحيدة الموجودة في المنطقة .

وغابَ أبي بعض الوقت وعادَ مع صاحبِ البقّالة في سيارةٍ قديمةٍ له، وقد أحضرَ كيسين من الطحين وكميةً من العدس المجروش والبقوليات وبعض الأطعمة الأخرى.

وسرعانَ ما عَجَنَتْ أمي بعضَ الطحين، وأعدَّت لنا خبزاً طازجاً

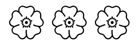
على الصَّاج، غمسناهُ في كؤوسٍ من الشّاي أعدَّها لنا أبي على النَّار في إبريقٍ كبيرٍ كانَ بجانب بَكْرَجِ قهوتِهِ المُرّة.

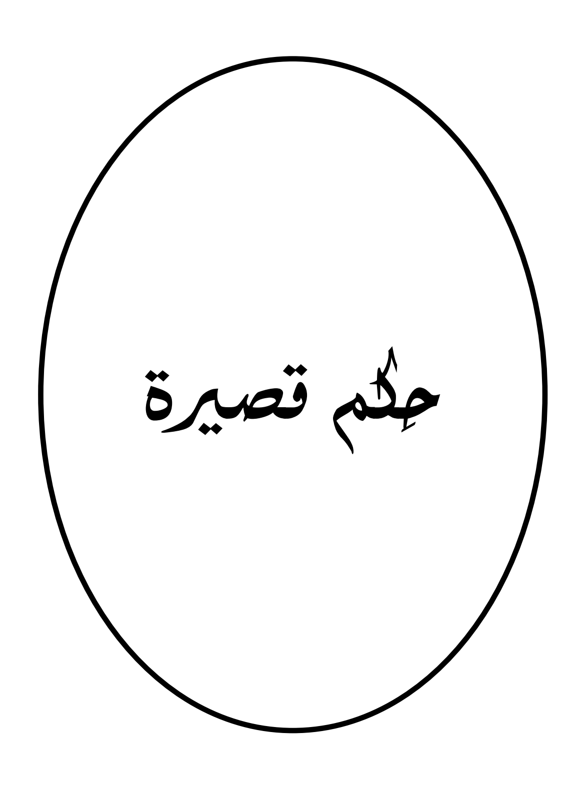
وبعد أن سكتَ جوعُنا وارتسمتِ الابتسامةُ على وجوهِنا، عُدنا نعبثُ ونسألُ أمّي عن الشيءِ الثقيلِ الذي كانت تحملُه على رأسِها، فأخبرتنا أنَّها أخذت بِسَاطَيْنِ من البُسُطِ الثمينةِ التي عندها، وباعتهما في سوقِ الخميس، وأحضرت ثمنهما لأبي ليشتري لنا ما يَسدُّ جوعَنا ويكفينا مؤونتنا لعدة أسابيع أخرى.

وكانَ عملُ تلك البُسُط يحتاج لعدةِ شهورٍ من العملِ المتواصلِ من الغَزْلِ والبَرْمِ والنَّسِيج، وكانت هذه البُسُط تُفرش للضيوف، ومن لا يوجد عنده مثلها فكأنه لا يوجد في بيته أثاثٌ، أو ما يفرشه لضيوفه وزائريه.

وهكذا هـي حـال الـدنيا ، فبعـدَ مـرورِ أعـوامٍ طويلـةٍ علـى تلـك الحادثة، ومرورِ أكثر من عشرينَ سنةً على وفاةِ أبي وأمي رحـمهما الله، فمـا زالـت تلـك القصـةُ حاضـرةً في ذاكرتـي، ومـا زلـتُ أتـذكّر رغيـفَ الخبـزِ الـذي لـم نسـتطعْ شـراءَهُ بسـبب البريـزة الـمفقودة الـتي حرمتنا من شراء رغيف الخبز في ذلك اليوم.

- الأربعاء، ١٥ كانون ثانٍ ٢٠١٤.




حلم قصيرة

- لِكَي تَحْصُلَ عَلَى الْمِثَالِيَّة في بَعْضِ الأَحْيَان، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَخَلَّى عَنِ الْمِثَالِيَّة.

- قَالَ حَكِيمٌ: "زَرَعْنَا فَأَكَلُوا، وَنَزْرَعُ فَيَأْكُلُون".

- سعة الصدر: هي أن ترى الغباء يفرض نفسه أمامك، ولا تملك إلا أن تقابله بابتسامة صفراء باهتة.

- نَظَرَ حَكِيمٌ إلى النَّاسِ وَأَحْوَالِهِم، وَقَالَ بِأَسَىً: فَرَّقَتْهُمُ النِّسَاءُ، وَشَتَّتَ شَمْلَهُم الطَّمَع.

- قَالَ حَكِيم: "عِنْدَمَا تَفُوحِ الرائحَة، لا تَنْفع العُطور".

- قَالَ حَكِيم: "إذا تَجَمَّعَتِ الغِرْبَانُ طَارَتِ البَلابل".

- قَالَ حَكِيمٌ: "إِنَّ تَقَدُّمَ العُمْرِ لا يَصْنَعُ مِنَ الكَلْبِ خَرُوفاً" .

- قـالَ حكيمٌ: "لـو كـل كلـبٍ ألقمتـهُ حَجَـرَاً، لتراجعـتْ كـثير مـن الكلاب وسَلِمَ الناسُ من شرّها وأذاها" .

- للكِبَار نَظْرَة لا يَفْهَمُهَا الصِّغَار إلاَّ بعد فَوَاتِ الأوان! .

- مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفَاً، صِرْتُ لَهُ صَدِيقَاً .

- قَالَ حَكِيمٌ: "لُقْمَة عَلَى الفَاقَة تسْوَى نَاقَة" .

- أَيَّتُهَـا السَّـعَادَة، إذَا مَـرَرْتِ يَوْمَـاً مِـنْ هُنَـا، فَاسْـأَلكِ أَنْ تُشَـرِّفِينا بزِيَارَة.

- قال حكيم موصياً أحدهم: أرجو ألاَّ تفعل لأبيكَ ما فعلَ أبوكَ

لأبيه.

- قالَ حكيمٌ: مَنْ كانَ يكرَهُكَ في الطفولة، فلن يُحِبَّكَ في الكهولة.
- قالَ حكيمٌ: "مَن يضع أكثر من عشر بيضاتٍ في اليوم، فلا يستغرب إذا جاءت بعض صيصانه مُشَوَّهَةً".
- أحيانًا، يجب أن نُريحَ الدِّماغ من وَجَع الدِّماغ.
- ظَلَّ مُحْتَرَمًا حَتَّى نَطَق..
- ماذا تنفعني الكتابة وأنا أستجدي المعاني على قارعة الحروف.
- قالَ فيلسوفٌ: "متى تدري، بأَنَّك عندما تدري، تكاد تكون لا

تدري" .

- قَالَ حَكِيمٌ: "الغُرَاب فِي عَيْن أُمّه طَاوُوس" .

- للصَّمْتِ مِتْعَةٌ تَفُوقُ مِتْعَةَ الكَلَام.

- لماذا ترى القَشَّة التي في عيني ولا ترى الخشبة التي في عينك؟

- ليسَ العُرْي أَنْ تمشي عارياً، ولكنَّ العُرْيَ هو أَنْ تكشِفَ ما كانَ مستوراً من عُيوبِك.

- من يصعد على شجرة الكبرياء يحتاج إلى سُلَّمِ التواضع لينزل لمستوى الناس.

- قالَ حكيمٌ: "قُلْ لي مَنْ أصدِقَاؤكَ في الفيسبوك، أَقُل لكَ مَنْ

أنتَ" .

- قَالَ مُجَرِّب: "الحُبّ في الكِبَر، كلَوْكِ الحَصَى وقَضْمِ الحَجَر" .

- قَالَ حكيمٌ: "لا يُصْلِح الفوتُوشُوبُّ ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ" .

- أَنْ تكونَ شجرة يتسلّق عليها الآخرون، خيرٌ من أنْ تكونَ متسلقاً يبحث عن أشجارٍ باسقة ليتسلّقَ عليها .

- قالَ حكيمٌ: ما ندمتُ على كلامٍ لم أقله قَطّ .

- رُبَّ أَخٍ لَكَ لَوْ أَنَّ أَمَّكَ لَمْ تَلِدْهُ لَكَانَ أَفْضَل .

- ما أكثر الوعود التي نقطعها على أنفسنا في وقت الضيق، ثم ننساها مع أول ساعة فَرَج.

- ما أعظم خيبة الذي يعطي الناس كل ما يملك، ثم ينتظر إحسانهم إليه.

- إذا كان الشِّعْرُ استهتاراً وإباحة فأنا منه براء.

- قال لي أحدهم ساخراً: إن الحياة أخذ وعطاء، قلت: كيف ذلك؟ قال: أن تأخذ ما عند غيرك ولا تعطي ما عندك.

- مهما بلغت براعتك أيها الرسام فلن تستطيع دهن القلوب السوداء باللون الأبيض.

- ما تركتُ تائهاً إلاّ أوصلته إلى المحطة، ولكنه عندما يصل يُلوِّح لي بيديه ويذهب ويتركني خلفه.

- السياسة والفن كالماء والنار لا يلتقيان، وإن التقيا يُفسد أولهما

ثانيهما .

- إنْ كنتُ قد تنازلتُ كثيراً فهذا لا يعني بأنني قد نسيت.

- الذي يكفر من أجل الشهرة كالذي يسرق من أجل الثروة، كلاهما لا يستطيع الصمود طويلاً.

- ويسألني أحدهم: لماذا تقاطع صديقك فلاناً ؟، فأجيبه: أنا لا أقاطعه، ولكنني أقاطع الرذيلة التي يعيش فيها .

- عندما يعرف الإنسان طريقه فلن تهمّه المسالك الفرعية.

- ما أعظم سعادة المرء عندما يُنجزُ عملاً ويُقدّمه للآخرين.

- لأن تسأل عشرين مرة خير من أن تُخطىء مرةً واحدة.

- قالت زوجتي: ألم تجد شيئاً غريباً في السوق تشتريه لنا، فقلت لها: لم أجد من هو أغرب مني فعدت إليك بنفسي.

- مِنْ أَكْذَبِ الـجُمَلِ وَالعِبَارَاتِ في هَذَا العَصْرِ جُمْلَة "عُرْس دِيمُقْرَاطِي"، وَالَّتِي غَالِبَاً مَا يَنْتَهِي فِيهَا هَذَا العُرْس بِالطَّلاقِ أَوْ بِالفَشَلِ الذَّرِيع.

- السلعة الأرخص في البلاد، وأوسع الصحف انتشاراً في البلاد، وجهان لعملة واحدة مزيفة.

- قَالَ حَكِيمٌ: "الأَذَى قَذَى".

- سمعتُ أحدَهم يترنّمُ بجملةٍ ويردّدُها عِدّة مراتٍ، ويقولُ فيها: "جَاهِلٌ مَنْ قَالَ إِنّيَ جَاهِلٌ"، ثم مضى وصدى جملته يَرِنُّ في

أُذني "هِلُ . . هِلُ . . هِلُ" .

- قـالَ مـواطِن حكـيم: "لا تـحلِف عـن مُرَشَّـح، يـمكن تلـزَّك الانتخابات عليه" .

- أنَا أَتَسَحَّر، إِذَن أنا أَصُوم . .

- قَالَ حكيم: "لَيْسَتْ هُنَاك اِمْرَأَة قَوِيَّة، بَلْ هُنَاكَ رَجُل ضَعِيف" .

- أنَا أُعَبِّرُ بِالعَرَبِيَّة، إِذَنْ أَنَا مَوْجُود .

المحتويات

⊙⊙⊙

المؤلف في سطور:



– ولد صالح زيادنة في مدينة رهط:

في ١٦ تشرين الأول عام ١٩٥٥م.

– تعلّم في بلده، وفي مدينة الرملة، ثم عاد لبلده ليكمل تعليمه فيها.

– أصـدر مجموعة كبيرة من الكتب التراثيـة، والمعاجـم، والدواويـن الشعرية.

– أقام مع رفاق له الصالون الأدبي في عام ٢٠١٤، والذي ما زال قائماً حتى الآن.

– له نشاطات اجتماعية متنوعة، وخاصة في مجال الشعر والأدب.

